مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2570 0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد:07 العدد 01 جانفي (2023) ص 329 - 339

انفتاح المجتمع الأندلسي على الشعر النّسوي

The openness of Andalusian society to feminist poetry

حدة بن حفاف*

جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر)

hadbenhaf@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/10 /04
تاريخ القبول:
2022/10/25

الكلمات المفتاحية:
- ✓ انفتاح،
- ✓ المجتمع الأندلسي،
- ✓ الشّعر النّسوي.

الملخص:

مازال وقع الحضارة العربية الأندلسية يتردّد في نفوسنا ، فالملتفت إلى هذه الحضارة لا يخفى عليه الكنز الأدبي الّذي خلّفته، والّذي يعتبر من أجود آداب اللّغة العربية، وقد ازدان هذا الأدب بأدب انطلق من ألسنة نسائه اللّائي نظمن شعرا رائعا تطرّقن فيه لجلّ الموضوعات تقريبا، نتيجة الحرية الفكرية والثقافية، وتوفر الظّروف الملائمة، والانفتاح على الحضارات الشرقية والغربية، ممّا دفعهن للإبداع، حيث شاع صيتهن في السّاحة الأدبية، فكانت المرأة الأندلسية المربّية، والشاعرة، والمهتمة بالفن والموسيقى، والعالمة بمجال الطب، ثمّ إنّ طبيعة الأندلس في حدّ ذاتها جعلتها تنبغ شعرا، كلّ هذا كتب لهنّ ولشعرهن الخلود، فكان بمثابة الكنز الّذي لا يفرّط فيه، وما وصلنا يثبت المقامة والمكانة الحسنة لشعرهن من حيث جودة الصّياغة والبلاغة، من هنا كان لزاما علينا طرح الإشكالية التالية: ما دوافع وأسباب انفتاح المجتمع الأندلسي على الشّعر النّسوي ؟ ماهي العوامل الحقيقية وراء بروز هذا الشعر؟ وما هي تمظهراته ؟.

Article info

Received
04/ 10/2022
Accepted
25/10/2022

Abstract

The Arab-Andalusian culture left a true priceless heritage in which women had their fair share in writing poetry on various subjects, and nature's stunning beauty was a helping factor in bringing out their magical thoughts and intellect. Women's poetry as a way of literary

*المؤلف المرسل

expression was not new in that era, in spite of those who claim that it was restricted to certain subjects, and was not documented and saved as it should have. So we must ask 1- what were the reasons behind the openness of the Andalusian society to women's poetry?.

Keywords:
- ✓ *Openness,*
- ✓ *Society Andalusian,*
- ✓ *feminist poetry.*

1. أسباب انفتاح المجتمع الأندلسي على الشعر النسوي:

شاركت المرأة الأندلسية في مختلف المجالات السّياسية والاجتماعية والثّقافية والفنّية والعلمية والأدبية جرّاء ما تمتعت به من حرية واسعة، فكانت منهن حافظة القرآن، والمغنية والطّبيبة والمربّية والمعلّمة والحكيمة، وقد فرضت وجودها في مجال الأدب فكانت الشّاعرة الّتي تجاري الرّجال بشعرها، وتتفوّق على قريناتها في المشرق، بعد أن فسح لها المجال، وتمتّعت بحريّتها في ظل مجتمع أندلسيّ امتزجت فيه الأعراف والأجناس، فولدت حضارة فتحت أبواب الحرّية للمبدعين، ومن الأسباب الّتي جعلتها تنهض وترتقي بالشّعر في هذه الفترة الممتدة منذ الفتح إلى دولة بني الأحمر ما يلي:

1.1. التّمايز الطّبقي والفنّي:

لقد شاع الشّعر عند مختلف طبقات المجتمع من خلفاء وأمراء و وزراء وحكماء، وخاضت المرأة كما الرّجل ميدان الشعر، وأسهمت في إثراء الأدب الأندلسي نثرا و شعرا ، كما نظمت في الأغراض المتنوعة من غزل ووصف للطّبيعة ومدح وهجاء وشعر الديني .

فشاعرات الأندلس هنّ الأوفر نصيبا في فن الشعر، أكثر من غيرهنّ في المشرق، حيث لم يقتصر نظم الشعر على الحرائر فقط، فحتّى الجواري أحسنّ القول وأكثرن، ويؤكّد الدّكتور مصطفى الشّكعة كثرة الشّاعرات الأندلسيات فيقول : "و لعلّ كثرة الشّاعرات الأندلسيات بالقياس إلى عددهنّ بالمشرق يعطي صورة توحي بأن نصيب المرأة الأندلسية من العلم والمعرفة كان أكثر من نصيب أختها في المشرق، فقد كان بعض المتأدّبات يتردّدن على منتديات الرّجال الأدبية ، كما كان لبعض النّساء أيضا منتديات أدبية يؤمّها الرجال والنّساء على حد سواء. ولعلّ ندوة ولادة بنت المستكفي تعتبر مثالا لهذا اللّون من النّشاط النّسائي، وتحرّك المرأة في الأندلس "[1]، يعني أن نظم الشّعر لم يكن حكرا على الحرائر دون الجواري، وهذا ما يقرّه الدكتور عبد القادر هني في قوله : "إنّ تأمل ما بين أيدينا من غزل أندلسيّ يميط اللّثام عن ظاهرة مهمّة هي تربّع الجارية على العرش في هذا الفن ،مزاحمة للمرأة الحرّة ، بعد أن كانت لها الغلبة في الغزل الجاهلي " [2]، فمن الجواري مثلا الجارية العفجاء، ومتعة، وغاية المنى ، وقمر والّتي "هي جارية من الجواري الشّاعرات المغنّيات .....كانت جميلة الصّورة ذكيّة ظريفة الحديث، أديبة راوية، حفّاظة مع فهم بارع و فصاحة وبيان ،وكانت تقول الشّعر على سجيّها " [3]، ومن الحرائر مثلا :حسّانة التّميمية أوّل شاعرة ولدت بهذه الأرض وتربت في أحضانها ،شاعرة ابنة شاعر يقول سعد بوفلاقة : "تعد من أولى الشّواعر اللّواتي اشتهرن بالأندلس، وقد أشبهت أباها في قوّة العارضة " [4]، وأيضا الخطّاطة صفية بنت عبد الله الريّي ، وولادة بنت المستكفي شاعرة قرطبة، والأميرة الشّاعرة أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية ،أميرة شاعرة ، يقول عنها المقري في نفح الطيب: "وكغيرها من الملكات اللّواتي كنّ يعتنى بهنّ فيعلمنهن أحسن تعليم، تلقّت شاعرتنا تعليمها حتى اقتدرت على نظم الشّعر" [5]، ويقول عنها مصطفى الشكعة: "وإذا كانت غاية المنى واحدة من القيّان، وزينب المرية والغسّانية البجانيّة بنتين من بنات الشّعب، فإنّ أم الكرام أميرة من بيت الملك، وكان من عادة ملوك الأندلس أن يعهدوا ببناتهن ونسائهن لمعلمات يتعهدنهن بالتّعليم والتّهذيب وقراءة الشّعر وحفظه، فاعتنى المعتصم بتأديب ابنته لما رآه فيها من

ذكاء حتّى نظمت الشّعر الجميل وأسهمت في إنشاء الموشّحات " [6]، أيضا نزهون بنت القلاعي الغرناطية ، وهي شاعرة من أهل غرناطة ،أديبة خفيفة الرّوح، يقول عنها سعد بوفلاقة : "كانت تجالس الوزراء وتساجل الشعراء و تهاجيهم ولها مهاجاة ومشاغبات، ومساجلات مع مشاهير وزراء وشعراء عصرها" [7] .

شاعرات البيئة الأندلسية كثيرات وهن أوفر نصيبا في فن الشّعر، وأكثر من غيرهن من شاعرات المشرق، ولم يقتصر نظم الشّعر على الحرائر فحتى الجواري أحسنّ القول وأكثرن. ويؤكد الدّكتور مصطفى الشّكعة كثرة الشّاعرات الأندلسيات فيقول: "ولعلّ كثرة عدد الشّاعرات الأندلسيات بالقياس إلى عددهن في المشرق يعطي صورة توحي بأن نصيب المرأة الأندلسية من العلم والمعرفة والتحرّك كان أكثر من نصيب أختها في المشرق، فقد كان بعض المتأدّبات يترددن على منتديات الرّجال الأدبية، كما كان لبعض النّساء أيضا منتديات أدبية يؤمّها الرّجال والنّساء على حدّ سواء ، و لعل ندوة ولادة بنت المستكفي تعتبر مثالا لهذا اللّون من النّشاط النّسائي ،و تحرك المرأة في الأندلس ." [8]

2.1. الطّبيعة الأندلسية وتأثيرها في دفع عجلة الشّعر النّسوي الأندلسي:

طبيعة الأندلس من الأسباب والعوامل الفعّالة الّتي دفعت النّساء إلى نظم الشّعر، وحرّكت قرائحهم وهيّجت مشاعرهم وهامت بهن، فأبدعن في نظم الشعر، يقول المقري : "طول الأندلس ثلاثون يوما و عرضها تسعة أيام، ويشقها أربعون نهرا كبارا، وبها من العيون والحمامات والمعادن مالا يحصى، وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار، وأزيد من ثلثمائة من المتوسطة ، وفيها من الحصون والقرى والبروج كثرة، حتى قيل: إنّ عدد القرى الّتي على نهر إشبيلية اثنتا عشرة ألف قرية، وليس في معمور الأرض صقع يجد المسافر فيه ثلاث مدن وأربعا من يومه إلّا بالأندلس، ومن بركتها أن المسافر لا يسير فيها فرسخين دون ماء أصلا، وحيث ما سار من الأقطار يجد الحوانيت في الفلوات و الشّعاري و الأودية و رؤوس الجبال لبيع الخبز والفواكه و الجبن واللّحم والحوت ، وغير ذلك من ضروب الأطعمة " [9].

3.1. الحياة الاجتماعية و الثقافية :

كانت إيبيريا قبل الفتح مزيجا من البربر القادمين من شمال إفريقيا واليونانيّين، والرّومان أيضا الوندال والقوط: هذا ما ذكره إبراهيم توفيق: "كان المجتمع الإيبيري قبل الفتح مؤلفا من عناصر مختلفة تضم الأصليين من الأيبيريين الّذين يرجعون إلى جنس البربر الذين استوطنوا شبه الجزيرة منذ أقدم العصور قادمين إليها من شمال إفريقيا، وأطلق عليهم اسم الموريين وهي لفظة إغريقية، واليونانيين و القرطاجيّين والرّومان والوندال والقوط تبعا لموجات الغزو الّتي تعرضت لها الجزيرة " [10]، من هنا فالمجتمع الأندلسي قبل الفتح هو خليط من أجناس، تمازجت وانصهرت ثقافاتها فأنتجت ثقافة وحضارة جديدة مزيجا من الحضارات السّابقة، المنصهرة مع بعضها البعض، انصهرت فيما بعد مع الحضارة العربية الإسلامية المشرقية بعد الفتح لتخلق الحضارة الجديدة للأندلس ، هذا ما ساعد على التّنوع الثّقافي الّذي جمع فكر جميع الدّيانات والأعراق والملل، ما دفع شاعرات الأندلس إلى الإبداع إضافة إلى تشجيع الحضارة الإسلامية المتفتحة على الحضارات المتنوعة للعنصر النّسوي فكما أشرنا سابقا أن الأمراء أنفسهم اهتموا ببناتهم فعلمنهنّ ودربنهنّ حتّى نبغن في نظم الشّعر، أيضا الطبقة الرّومانية الأرستقراطية التي كانت تحظى بالمال والجاه، والطبقة العربية الأرستقراطية الّتي اتخذت لنفسها دورا وقصورا ومدنا، دفعت عجلة التحضّر وساعدها في ذلك البذخ وكثرة الجواري (القيّان والقينات)، ومدارس الغناء والرّقص، كل هذا دفع العنصر النّسوي للتحرر من القيود وفتح باب الإبداع، فأصبحت الأندلس ملتقى الحضارات والثّقافات، ووسطا يدفع للإبداع في شتّى المجالات .

4.1. الحياة الأدبية :

إنّ اهتمام الملوك والأمراء بالحركة العلمية، وهجرتهم المتواصلة إلى المشرق لتحصيل المعرفة، وكثرة المدارس، ودور العلم وطبيعة الفرد الأندلسي التوّاق إلى المعرفة، جعلت الحركة العلمية والثّقافية تزداد ازدهارا و نشاطا، يقول عبد المنعم خفّاجة في هذا الصدد: "وزاد من ذلك عناية ملوكهم وأمرائهم بالعلوم، وشدّة تحصيلهم وكثرة روايتهم وهجرتهم المستمرة إلى المشرق، وكثرة المدارس والجامعات والمكتبات وإقبال العامة والخاصة على العلم على حدّ سواء ." [11]، هذا ما جعل المكتبة الاندلسية تعجّ بالكتب والمؤلّفات الّتي جمعت بين علوم المسلمين وغير المسلمين، ويضيف عبد المنعم خفاّجة قائلا :"حيث عُنوا بجمع الكتب في كل علم وفن، فقد كان في إسبانيا 60 مكتبة عامّة، أشهرها مكتبة قرطبة، حيث كانت تحتوي على الكتب النّقلية والعقلية التي ترجمها وألّفها العرب في الزّراعة والفلك والرياضيات وفي الطب والكيمياء والموسيقى، كذلك في فنون الأدب كالبلاغة والتّاريخ والقصص والرّحلات ودواوين الشّعر المختلفة" [12]، ولقد تطور الأدب تطورا كبيرا وواضحا نظرا للثّراء الفكري والمعرفي، والطبعة الخلابة الساحرة، والظّروف السّياسية و الاجتماعية المستقرة .

وقد شاع نظم الشّعر عند جميع طبقات المجتمع كما أشرنا لذلك سابقا، فنوّعوا في الموضوعات والأغراض من غزل، ومديح، وهجاء، ووصف للطبيعة، وفخر، والتصوف، وكما استحدث الشّعراء أغراضا جديدة كالموشحات، وتفوقوا على شعراء المشرق في الوصف، والرثاء، يقول محمد عبدالمنعم خفاجي: "طبيعة بلاد الأندلس وما فيها من مناظر مختلفة، وعناية الملوك الأمراء بقرض الشّعر، حملت الشّعب جميعه على الإقبال عليه، حتّى أصبح قول الشّعر زينة لكل أديب، وجمالا لكل عالم "[13] .

2. تمظهراته : نماذج من شعرهن في مختلف الحقب التّاريخية:

1.2. نماذج شعرية من الفتح حتى آخر القرن الرابع هجري:

هذه الفترة هي مرحلة تأسيسية، فمنذ أن أطل هذا العهد وأسماء لامعة جرى على ألسنتهن فيض من الشّعر، ويؤكّد هذا الدّكتور سعد بوفلاقة قائلا: "فمنذ عهد عبد الرّحمان الدّاخل برزت أسماء مغنيات مشرقيات قدمن من المشرق إلى الأندلس، وقد بذل في شرائهن واستقدامهن مال وفير، وكان لكثير منهن نصيب وافر من الثّروة العلمية و الفنّية ، فكنّ يجدن الشعر والغناء" [14]،أمّا التيّار الّذي سار عليه شعرهن في هذه الفترة فهو التيّار المحافظ، تقليدا للأسلاف في المشرق، فحتّى و إن غير العرب أوطانهم فإنّ الحنين للأوطان يظلّ قائما ، فحنينهم لأصلهم منعهم الانسلاخ عن إخوتهم ، فأصبحوا مقلّدين لا شعوريا ،يقول الدّكتور عبد العزيز عتيق :"وكان الأدب الأندلسي و الشّعر بخاصة أحد جوانب هذه الحضارة العربية الجديدة, فإذا بدا عليه سيما الاحتذاء والتقليد لشعر المشارقة ، فليس لعجز الشّعراء عن الابتكار، وإن كانوا قد ابتكروا وجدّدوا، و إنّما هو لشعور الانتماء إلى الأصل والرّغبة في استمرار الارتباط به، وما الإبقاء من جانبهم على تقاليد الشّعر العربي المتوارثة إلّا صورة من صور هذا الانتماء" [15]، وهذا التّقليد في الشّعر لم يمس جميع جوانبه، فربما مس الشكل أو مس الموضوع ، أمّا المضمون فهو نابع من نفس الشّاعر الأندلسي، وما يحسّ به، وما تمليه هاته البيئة بكل ملابساتها الاجتماعية والسياسية ....إلخ، ويؤكّد هذا في قول آخر:"إنّ الدّارس للشّعر الأندلسي يرى أن ظاهرة التّقليد فيه ترجع للشكل و الموضوع دون المضمون، فمن حيث الشّكل ممثّلا في تقاليد القصيدة العربية القديمة، لم يكن شعراء الأندلس بدعا في التزامه ، و إنّما كان التزامه اتجاها عاما لدى شعراء العربية في جميع العصور وحيثما كانوا، على أساس أنه جزء من تراثهم الّذي يعتزون به ويحافظون عليه، ويضعونه فوق كل اعتبار فنّي، وليس في هذا الالتزام ما يعيبهم أو يعيب غيرهم من شعراء العربيّة لأنّه التزام نابع من رغبة لا شعورية بالارتياط الدّائم بكل ما هو عربي , مهما تطاول الزّمن "[16].

ومن خلال ما عرضناه نستخلص أن هذا الحال هو حال الشّاعرة في الأندلس في الحقبة المبكرة،فهي لا تستطيع الانسلاخ عن ما هو يسري في دمها ، من تقاليد المشرق، ويقر مصطفى الشكعة : "المرأة الشّاعرة كلّما كانت قريبة العهد

بزمان الفتح كانت أقرب إلى عروبتها، وبالتّالي إلى حشمتها في القول، والتردّد في الجرأة، والابتعاد عن الإسفاف، وتجنب الإفحاش، وكلما بعد العهد بها و انغمست في صلب الأندلسية ، كانت أقرب إلى التّحرر الّذي هو في حقيقته من ناحية القول – أضعف الإيمان –تحلّلا أكثر منه تحرّرا "[17]. نصل في الأخير لنتيجة مفادها : البيئة الأندلسية قد تجمّلت بشاعرات كثر عددهن، وجاء شعرهن جيّد الصّياغة والجرس والإشراق والجرأة والرصانة والجزالة، يقول مصطفى الشّكعة: "ازدانت البيئة الأندلسية بعدد غير قليل من النّساء الشّاعرات اللاّئي أسهمن في إثراء الأدب الأندلسي بألوان طريفة من موضوعات الشّعر و مقطوعات رخية جذابة، من فن القصيد "[18].

1.1.2. الجارية العفجاء: سميت بالعفجاء لهزالها وضعفها ونحولها، وكتب القدر أن تكون أول شاعرة على أرض الأندلس، احتل اسمها الصّدارة، رغم كونها لم تولد في هذه الجنّة السّاحرة، جارية وافدة من المشرق درّبت أحسن تدريب على الإنشاء الأدبي والغناء والعزف .

وقد اختارت العفجاء الشّعر الوجداني:

برحَ الخفاء فأيّما بك تكتم ولسوف يظهر ما تسر فيعلم
مما تضمن من عزيز قلبه يا قلب إنّك بالحسان لمغرم
يا ليت أنّك يا حسام بأرضنا تلقي المراسي طائعا وتخيم
فتذوق لذة عيشنا ونعيمه ونكون إخوانا فماذا تنقم

يقول مصطفى الشكعة :"لقد كانت الجارية تتقن من قول الشّعر و الغناء ما قد تعوّدت على قوله ، أي الشّعر الوجداني الغنائي الّذي يخاطب العاطفة و يهزّ المشاعر" [19]

2.1.2.متعة: يذكر عنها أحمد النّوش :" يحكى الكثير عن جمالها وأدبها و علمها و جودة آدائها لأحسن أغاني زرياب ،و قد تصرّفت بين يدي الأمير عبد الرّحمان تغنيه مرة وتسقيه أخرى ، حتّى إذا فطنت لإعجابه بها أبدت له دلائل الرّغبة ، فأبى إلا التّستّر فاضطرت أن تفصح له عن حبها بأبيات يقال إنّها من نظمها الخاص:

يامن يغطي هواه ماذا يغطّي النّهار
فقد كنت أملك قلبي حتّى علقت فطارا
يا ويلتا أتراه لي كان ، أم مستعارا
فلما انكشف لزرياب أمرها أهداها إليه"[20].

حسّانة التّميمية بنت أبي المخشى الشّاعر بن زيد : تبتهج الأندلس بأحسن ما ولدت ، و تتزيّن بأجمل أقحواناتها ، ويخلّد الأدب اسم أوّل شاعرة ولدت بهذه الأرض الطيّبة، وتربت بأحضانها، فهي ليست كغيرها من الوافدات ، حرّة من الحرائر، شاعرة ابنة شاعر، ورثت نظم الشعر عن أبيها، وهي من مشهورات الأندلس ، ويذكر صاحب نفح الطيب :"تأدّبت وتعلّمت الشّعر ،فلما مات أبوها كتبت إلى الحكم ، وهي إذ ذاك بكر لم تتزوج (من البسيط):

إنّي إليك أبا العاصي موجّعة أبا المخشّي سقتها واكف الدّيم
فقد كنت أرتع في نعماه عاكفة ، فاليوم آوي إلى نعماك يا حكم
أنت الإمام الّذي انقاد الأنام له و ملّكته مقاليد النّهى الأمم
لا شيء أخشى إذا ماكنت لي كنفا آوي إليه و لا يعروني النّدم [21]

3.1.2. قمر: إحدى شاعرات القرن الثّالث الهجري عاشت في إشبيلية، يقول عنها مصطفى الشّكعة: " قمر قينة جميلة جمعت الظرف إلى الأدب، والحفظ مع الرّواية مع فهم بارع وفصاحة و بيان ،و كان الشّعر يجري على سجيتها مطواعا رائقا فيه نعومة و إيقاع "[22]

مدحت مرّة مولاها إبراهيم بن حجاج اللّخمي صاحب إشبيلية قائلة :

ما في المغارب من كريم يرتجى إلّا حليف الجود إبراهيم

إني حللت لديه منزل نعمة كل المنازل ما عداه سقيم

تقول ونار الشوق وحرقة الحنين لبغداد تلتهب بداخلها:

آها على بغدادها و عراقها وظبائها و السّحر في أحداقها

ومحالها عند الفرات بأوجه تبدو أهلتها على أطواقها

متبخترات في النعيم كأنما خلق الهوى العذريّ من أخلاقها[23]

4.1.2. عائشة بنت أحمد القرطبية : من الشّاعرات الحرائر، عرفت بخلالها الحميدة، من عفة وطهارة، أديبة خطّاطة ذات فصاحة، لا يضاهيها أحد من زمانها في علمها وأدبها وجرأتها، إضافة لذلك مدحها أمراء وملوك زمانها، نجدها مرتجلة في شعرها دون أن تذل لهم، ليس لديها في الغزل بيت واحدا، يذكر عنها مصطفى الشّكعة قائلا: "والّذي يتابع صفاتها لا يملك إلّا الإعجاب بها، شاعرة قديرة عفيفة جريئة و أديبة خطّاطة ديّنة كانت حسنة الخط، تكتب المصاحف وكانت تمدح الملوك في غير ما خنوع أو مذلة، وكانت ترتجل الشّعر ارتجالا، وماتت عذراء لم تتزوج " [24].

لها في المديح قصيدة ارتجلتها يوما دخلت فيه على المظفّر بن المنصور بن عامر ، وهو يجلس ابنا له بين يديه ،قالت:

أراك اللّه فيه ما تريد ولا برحت معاليه تزيد

لقد دلّت مخائله على ما تؤمّله و طالعه السّعيد

تشوّقت الجيّاد له وهزّال حسام هوى و أشرقت البنود

وكيف يخيب شبل قد نمته إلى العليا ضراغمه أسود

فسوف تراه بدرا في سماء من العليا كواكبه الجنود

فأنتم آل عامر خير آل زكا الأبناء منكم والجدود

وليدكم لدى رأي كشيخ وشيخكم لدى حرب وليد [25]

قمّة الجزالة في اللّفظ، وجميل الصّورة البليغة، متبعة نهج القدامى كتشبيهها للمظفر بن منصور بن عامر وليدهم بالشّيخ سديد الرّأي، والشّيخ حين الحرب كالشّاب شجاعة وقوّة .

5.1.2. حفصة بنت حمدون الحجارية: شاعرة أخرى من الحرائر، أول شاعرة للغزل في الأندلس، من المكثرات اللّواتي فخرت بهن بلداتهن، رائدة شعر الغزل عند المرأة الشاعرة بالأندلس ،من شواعر القرن الرّابع هجري، كانت ذات مال وفير، من أسرة غنية، يذكر صاحب نفح الطّيب ما ذكره صاحب ابن الفرج صاحب الحدائق من شعرها في عبيدها تشكو تارة منهم وتفتخر بهم مرة أخرى، تقول :

يا ربّ إني من عبيدي على جمر الغضا ما فيهم من نجيب

إمّا جهول أبله متعب أو فطن من كيده لا يجيب [26]

نجدها ترمي حجاب الخجل في الغزل ، نافضة عن نفسها تقاليد الحرائر ، فتقول :

لي حبيب لا ينثني لعتاب وإذا ما تركته زاد تيها

قال لي : هل رأيت لي من شبيه قلت أيضا هل ترى لي من شبيها [27]

6.1.2. أنس القلوب :يذكر عنها بشير يموت: "كانت جارية مغنية في قصر المنصور بن أبي عامر الأندلسي وكانت مليحة جريئة ولها أخبار"[28]، وقد وهبها المنصور لوزيره الكاتب أبي المغيرة بعد أن تغزّلت به وتغزّل بها، وهذه أبياتها في الغزل :

قدم اللّيل عند سير النّهار وبدا البدر مثل نصف السّوار
فكأنّ النّهار صفحة خدّ وكأنّ الظّلام خطّ عذار
وكأنّ الكؤوس جامد ماء وكأنّ المدام ذائب نار
نظري قد جنى عليّ ذنوبا كيف مما جنته عيني اعتذاري
يا لقومي تعجّبوا من غزال جائر في محبّتي و هو جاري
ليت لو كان لي إليه سبيل فأقضي من الهوى أوطاري[29]

2.2. نماذج شعرية في القرن الخامس هجري (عصر الطّوائف):

الأدب في هذه الفترة كان في أزهى عصوره الأندلسية، وساعدته الظروف السّياسية على وصول هذه المرحلة، حيث انتعشت الحركة الأدبية، وأصبحت الأندلس مطرحا يتنافس فيه الشّعراء، كما تعلّقوا بالطّبيعة، وكلفوا بها كلفا شديدا، حيّة وصامتة، وظهر لدى الأندلسيين ما يسمى بالاستقلال الذّاتي في ميدان الشّعر، فبرزت شخصيتهم وسماتهم المميّزة لهم وأخذوا يتحرّرون شيئا فشيئا عن المشارقة، ويحدثون تجديدا على قصائدهم، يقول سعد بوفلاقة: "أخذ الأدباء الأندلسيون يتحرّرون من التّبعية للمشارقة، ويشعرون باستقلالهم الفكري ... لكنهم لم يتحرّروا تحرّرا خالصا من الأدب القديم والموروث، شأنهم شأن الشّعر الأندلسي في مختلف العصور، وكانت محاولات التّجديد دائما في نطاق المحدود، ومن بين الأغراض التي طبعها الأندلسيون بطابعهم الخاص في هذه الفترة: وصف الطبيعة، ورثاء الممالك الزّائلة، والغزل والهجاء، والاتجاه الفلسفي الزّهدي،." [30].

1.2.2. مريم بنت يعقوب الأنصاري: إحدى شاعرات إشبيلية ، أديبة شاعرة عرفت بحيائها وحشمتها و حسن أخلاقها ،يقول عنها مصطفى الشّكعة :"كانت أديبة شاعرة ،وكانت تعلّم النّساء الأدب على طريقة أهل الأندلس في ندب نساء أديبات لتأديب بناتهن، وكانت مريم محتشمة متديّنة على خلاف ما نتوقع من شاعرة عاشت في مدينة الخلاعة

تمدح المهدي صاحب إشبيلية بعد أن مدحها بقصيدة يصف فيها عفّتها وطهارتها ،قائلة :

من ذا يجاريك في قول وفي عمل وقد بدرت إلى فضل و لم تسل
حلّيتني بحلى أصبحت زاهية بها على كل أنثى من حلى عطل
للّه أخلاقك الغرّ التي سقيت ماء الفرات فرقّت رقّة الغزل
اشبهت مروان من غارت بدائعه وأنجدت و غدوت من أحسن المثل"[31]

2.2.2. زينت بنت فروة المرية: شاعرة من المريّة، انتهجت نهجا متحرّرا للتّعبير عن مشاعرها، فراحت تنادي صاحبها صراحة خالعة حجاب الحشمة والحياء في تعبير غير متكلف، تقول :

يا أيّها الرّاكب الغادي لطيّته عرّج أنبئك عن بعض الّذي أجد
ما عالج النّاس من وجد تضمّنهم إلّا ووجدي بهم فوق الّذي وجدوا
حسبي رضاه و أنّي في مسرّته وودّه آخر الأيام أجتهد [32]

3.2.2. غاية المنى :جارية من شواعر المريّة، قينة سحرت القلوب، وجذبت الأنباه، وتركت لنا ما نتذكرها به، امتحان ابن الفرّاء الخطيب لها : سألها ما اسمك ؟ قالت": غاية المنى ،فقال: أجيزي ، فقالت :

سل هوى غاية المنى من كسى جسمي الضنا

فقال تجيزه:

و أراني متيّما سيقول الهوى أنا [33]

اجتازت الامتحان ونجحت بجدارة، هذا ما دفع المعتصم بن صمادح لشرائها.

4.2.2. أم الكرام بنت المعتصم بن صادح: أميرة شاعرة ، والدها المعتصم بن صمادح ، ملك المرية ، وهذا ما ذكره المقري في نفح الطيب :" وكغيرها من الملكات اللّواتي كنّ يعتنى بهن ، فيعلمن أحسن تعليم ، تلقت شاعرتنا تعليمها حتى اقتدرت على نظم الشعر "[34].

عرفت بتحررها وجرأتها، قلعت حجاب الحياء والحشمة، عشقت الفتى المشهور بالجمال المسمى بالسمّار، فتى من فتيان القصر،قالت فيه:

يا معشر النّاس ألا فاعجبوا مما جنته لوعة الحب

لولاه لم ينزل ببدر الدّجى من أفقه العلوي للترب

حسبي بمن أهواه لو أنّه فارقني تابعه قلبي[35]

5.2.2. ولادة بنت المستكفي: اقترن اسمها بعاصمة الأندلس قرطبة، سحرت بلسانها النّساء و الرّجال أدبا و شعرا، ابنة الخليفة محمد بن عبد الرحمان الملقّب بالمستكفي ، يقول عنها صاحب نفح الطيب :" ومن شهرهن ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن الناصر لدين الله، وكانت واحدة زمانها، المشار إليها في أوانها، حسنة المحاضرة، مشكورة المذاكرة، كتبت على الطّراز الأيمن من (الوافر):

أنا والله أصلح للمعالي و أمشي مشيتي و أتيه تيها

وكتبت على الطّراز الأيسر:

و أمكّن عاشقي من صحن خدّي و أعطي قبلتي من يشتهيها

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة و العفاف" [36].

6.2.2. حمدونة بنت زياد المؤدب : شاعرة غرناطية "حمدة بنت زياد بن تقيّ العوفي ، الشّاعرة و الكاتبة الأندلسية من سكان واد آش قرب غرناطة " [37]، لقبت بالخنساء لجودة شعرها ، رغم أن شعرها لم يكن في الرّثاء ، ومن شعرها ما قالته في إحدى صويحباتها في وادي السّباحة ،حين سلبت نفسها وحرّكت مشاعرها ، وليس هذا غريبا من شاعرة عاشت في فترة شاع فيها تغزل المرأة بالمرأة ، كما الرّجل بالمرأة تماما ،قالت فيها:

أباح الدّمع أسراري بوادي له للحسن آثار بوادي

فمن نهر يطوف بكل روض ومن روض يرف بكلّ وادي

ومن بين الظّباء مهاة إنس لها لبّي وقد ملكت فؤادي

لها لحظ ترقّده لأمر وذاك الأمر يمنعني رقادي

إذا سدلت ذوائبها عليها رأيت البدر في أفق السّوادي

كأنّ الصبح مات له شقيق فمن حزن تسربل بالحداد[38]

الشّعر النّسوي في القرن السادس : عصر المرابطين و الموحّدين.

ضعف حكم المسلمين في هذه الفترة، وتوالت هزائمهم، واستغلّ الإسبان ضعفهم و انتزعوا منهم أغلب المدن، ولم يبق سوى إمارة غرناطة تحت حكم محمد بن الأحمر، صمدت حتى 898، ثم زال نهائيا حكم المسلمين بالأندلس ، وقد رحّب

الحكام في هذه الفترة بالشّعراء، وأغدقوا عليهم جميل العطاء، وشابهوا في ذلك بني العباس، وظهرت أسماء لامعة لشواعر خلّدت كتب التاريخ ذكرهن .

7.2.2. الحفصة بنت الحاج الركونية: شاعرة غرناطة الفذة، الأديبة الجميلة ، ذات الحسب والثراء وسرعة البديهة.

من شعرها الغزلي ما قالته يوما في حبيبها أبي جعفر أحمد بن سعيد وزير بني عبد المؤمن الذي قتل من طرف ملك غرناطة بعد أن حسده على علاقته الحميمية مع معشوقته حفصة :

أزورك أم تزور فإنّ قلبي إلى ما تشتهي أبدا يميل
وقد أمّنت إن تظمى و تضحى إذا وافى إليّ بك القبول
فثغري مورد عذب زلال وفرع ذؤابتي ظلّ ظليل
فعجّل بالجواب فما جميل أناتك عن بثينة يا جميل [39]

لقد عبرت تماما كما يعبر الرجل المغرم دون حرج

8.2.2. **هند جارية عبد الله بن مسلمة الشاطي**: من الجواري الأديبات ، دعاها أبو عامر بن ينق أن تحضر عنده بعودها قائلا من الكامل :

يا هند هل لك من زيارة فتية نبذوا المحارم غير شرب السّلسل
سمعوا البلابل قد شدوا فتذكروا نغمات عودك في الثقيل الأول

فكتبت إليه في ظهر الرّقعة من الكامل:

يا سيّدا حاز العلا عن سادة شمّ الأنف من الطّراز الأوّل
حسبي من الإسراع نحوك أنّني كنت الجواب مع الرّسول المقبل [40]

9.2.2. **سعدونة (أم سعد بنت عصام الحميري)** :أم السعد بنت عصام الحميري ،من مشهورات الأندلس، عرفت برقّتها و عفتها وتمسّكها بدينها، نظمت أبياتا في تمثال نعل الرّسول عليه الصّلاة والسلام ، قالت من السريع:

سألثم التّمثال إن لم أجد للثم نعل المصطفى من سبيل
لعلّني أحظى بتقبيله في جنة الفردوس أسنى مقيل
فطالما استشفى بأطلال من يهواه أهل الحب من كل جيل .[41]

3. خاتمة:

-الشعر في الأندلس لم يكن حكرا على طبقة دون الأخرى في مجتمع كاد ينطق كله شعرا لذا وجدنا شاعرات : أميرات وجواري وحرائر و شاعرات بلاط ومغنيات ...إلخ.

-طبيعة الأندلس ألهمت الشّاعرات فجدن بشعر أكثر من رائع في وصف الطبيعة، ودفعتهن للتنويع في الموضوعات، ولاستعمال رقيق اللّفظ وسهله وواضحة، والأشكال الموسيقية المختلفة، والأوزان المتنوعة ،دون اهمال للقديم وإنما تقديمه في ثوب أندلسي جديد .

إنّ الحرية الّتي وهبت للمرأة في عصر العرب بالأندلس أدت إلى تنوع الأغراض الشعرية، فكان الغزل من بين الأغراض الّتي عبرت عن الإباحية المطلقة فكانت القصيدة بها جرأة وفحش ولهفة وبوح ...إلخ .

- أيضا كلما كانت الشّاعرة قريبة من الفتح كانت ملتزمة محافظة متمسكة بعروبتها، وكلما ابتعدت عنه قلت حشمتها وزاد فحشها، كما اتسعت دائرة التّحرر ليشمل الفحش الحرائر والأميرات.

4. احالات البحث:

1/مصطفى الشكعة :الأدب الأندلسي ،موضوعاته و فنونه، دار العلم للملايين ،الطبعة العاشرة ، السنة: 2000، صفحة :46.
2/عبد القادر هنّي : مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة ،دار الأمل للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، صفحة :49.
3/ سعد بوفلاقة :الشّعر النّسوي الأندلسي أغراضه و خصائصه الفنية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، سنة : 1995 ،صفحة:47.
4/سعد بوفلاقة : الشعرالنّسوي الأندلسي اغراضه و خصائصه الفنية ، صفحة:42.
5/المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ،1995ج :2 ، صفحة :202.
6/مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، صفحة :148.
7/سعد بوفلاقة :الشّعر النّسوي الأندلسي أغراضه و خصائصه الفنية ، صفحة :116.
8/ مصطفى الشّكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، صفحة 46.
9/ المقرّي : نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطب ، ج : 1 ،صفحة 226.
10/ إبراهيم توفيق : الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس ، دار غيداء نعمان ،الأردن ، الطّبعة :1 ، سنة :212 ،الصفحة :24/23.
11/ عبد المنعم خفاجي :الأدب الأندلسي التّطوّر و التّجديد ، دار الجيل ، بيروت ،لبنان ، الطّبعة :1 ،السنة :1992 ، صفحة :205.
12/ عبد المنعم خفاجي : الأدب الأندلسي التّطوّر و التّجديد ، الصّفحة :207.
13/ عبدالمنعم خفاجي :الأدب الأندلسي التّطوّر و التّجديد ،الصفحة : 307.
14/ سعد بوفلاقة : الشّعر النّسوي الأّندلسي أغراضه وخصائصه الفنية ،صفحة :36.
15/ عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، صفحة :164.
16/عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، صفحة : 164.
17/ مصطفى الشّكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، صفحة : 118.
18/ مصطفى الشّكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، صفحة : 117.
19/ مصطفى الشّكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، صفحة : 120/119.
20/ دجن أحمد النّوش : التّصوير الفنّي للحياة الاجتماعية في الشّعر الأندلسي ، دار الجيل ، بيروت ،الطبعة الأولى ،سنة : 1995 صفحة:253.
21/المقرّي : نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطب ، ج: 5 ، صفحة : 305.
22/ مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، صفحة : 130.
23/ بشير يموت: شاعرات العرب في الجاهلية و الإسلام ،تحقيق و تنقيح و شرح عب القادر محمد تايو ،الطبعة الأولى ، سنة : 1991 ،منشورات دار القلم العربي بحلب ، صفحة: 323.
24/مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، صفحة: 133/132.
25/ مصطفى الشّكعة :الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، صفحة : 135.
26/ المقري :نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطب ، ج: 6 ، صفحة : 21.
27/مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، صفحة : 53.

28/ بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية و الإسلام ،صفحة:317.

29/ سعد بوفلاقة : الشعر النسوي الأندلسي ، صفحة :66

30/ مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه صفحة :167.

31/ عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النشر ، الإسكندرية ،سنة : 1969 ، صفحة :17.

32/ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب، ج:4 ، صفحة :237.

33/ المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب ،ج :2 ، صفحة :202.

34/ مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي ، صفحة :148.

35/ المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب ، ج:5 ، صفحة : 340.

36/ بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية و الإسلام ، صفحة :335.

37/ المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطب ، صفحة : ج:6 ،صفحة :62.

38/ المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطب ،ج : 5 ، صفحة : 310.

39/ المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب ، ج 6 ، صفحة :67.

40/ المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب ، ج :5 ، صفحة : 305.

41/المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج:5،صفحة:306.